— ٩ —

[القول في المبادئ الخاصة والغير المبرهنة في البرهان]

فقد تبيّن من هذا انه لا سبيل الى ان يقام البرهان على امر من الامور الا من مبادئه المناسبة التي تخصّه ، وانه لا يكتفى في البراهين ان تكون مقدماتها صادقة وغير ذوات اوساط ، اي معلومة بنفسها فقط ، بل وان تكون مع ذلك خاصة بالموضوع الذي ينظر فيه . ولذلك برهان « بروسن » الذي استعمله في استخراج المربع المساوي[1] للدائرة ليس قولاً برهانيًا وان كان استعمل فيه مقدمات صادقة لانها عامة مشتركة . وذلك انه لما عمل مربعًا اعظم من كل شكل يقع[2] في الدائرة واصغر من كل شكل يقع خارج الدائرة ، قال ان المربع الذي هذه صفته يجب ان يكون مساويًا للدائرة لان الدائرة هي اعظم من كل شكل يقع فيها واصغر من كل شكل يقع خارجًا عنها ، والاشياء التي هي اصغر واعظم معًا من اشياء واحدة باعيانها هي متساوية ، وهذه القضية العامة الكلية وان كانت صادقة فليست خاصة بل مشتركة . **قلت** [3] : ولذلك ما صرّح ارسطوطاليس[4] في «كتاب السفسطة» ان بيان[5] « بروسن » هذا هو بيان سوفسطائي وان لم يكن كاذبًا ، لكن[6] سمّاه سوفسطائيًا اي قياسًا مرائيًا اذ كان يظن به انه برهان وليس ببرهان ، ولذلك يمكن ان ينقل هذا النحو من البيان من صناعة الى صناعة ويستعمل في بيان اشياء كثيرة .

ولما كان البرهان كما تبيّن انما يكون من الاشياء الذاتية الخاصة ، فيجب ضرورة ان يكون الحدّ الاوسط في البراهين : اما من طبيعة الجنس الموضوع لتلك الصناعة ، واما من طبيعة الجنس الاعلى المحيط بذلك الجنس ، بمنزلة ما يكون البرهان كثيرًا على الامور الموسيقية من المبادئ العددية ، وذلك ان النغم داخلة تحت العدد ، و[7] بمنزلة ما يبرهن على كثير من الامور التي في علم المناظر من المبادئ الهندسية . واذا

عرض لصناعتين مثل هذا من جهة ما ان احداهما[8] تحت الاخرى ، فان الصناعة التي تنظر في الجنس العالي تبيّن من ذلك الشيء سببه ، والصناعة التي هي دونها تبيّن من ذلك الشيء[9] وجوده . مثال ذلك ان صناعة الموسيقى تضع ان البعد الذي بالاربعة[10] متفق ويوقف على سبب هذا الاتفاق من صناعة العدد ، وهي ان هذه النغمة هي على نسبة الزائد جزءًا وان[11] النغم التي على نسبة الضعف مثلاً او الزائد جزءًا هي متفقة . ومثال ما يضع صاحب علم المناظر ان الاشياء اذا نظر اليها على بعد ظهرت اصغر ، ويعطي سبب ذلك من قبل[12] صناعة الهندسة وهو ان الزاوية الصغرى بوترها خط اصغر ، وانما كان ذلك لان الوسط الذي في العلم الاعلى في امثال هذه الاشياء يكون للمحمول[13] المطلوب سببه في الصناعة السفلى علة قريبة .

واذ قد تبيّن ان البراهين المحققة انما تكون من المبادئ المتقدمة بالطبع التي هي اعرف عندنا وعند الطبيعة ، فمن البيّن انه ليس يمكن ان يبرهن صاحب صناعة مبادئ صناعته الخاصة بالجنس الموضوع لها من قبل انه يحتاج في بيان تلك المبادئ الى ان تكون مبادئ[14] اخر[15] خاصية بذلك الجنس متقدمة عليها . والمبادئ الخاصية[16] ليس لها مبادئ خاصّة بل ان كانت فعامّة . ولذلك ما وجب ان يكون برهان جميع المبادئ لصناعة الحكمة العـامة ، اعني الفلسفة الاولى التي موضوعها الموجود بما هو موجود .

فقد تبيّن من هذا القول ان البرهان يكون من المبادئ المناسبة الخاصة وهي الاسباب القريبة للشيء ، ويتبيّن[17] مع هذا متى يمكن ان تنقل امثال هذه البراهين من صناعة الى صناعة ومتى لا يمكن . ولكون البرهان المطلق الذي يعطي سبب الشيء القريب هو البرهان الذي مقدماته موجودة بهذه الشروط التي تقدمت كلها ، عسر علينا[18] ان نعرف طبيعة البرهان الذي هو برهان بالحقيقة لعسر معرفة هذه الشروط علينا . ونظن كثيرًا انّا قد علمنا الشيء محققًا متى علمناه بمقدمات صادقة غير ذوات اوساط ، وليس الامر[19] كذلك دون ان تكون فيها سائر الشروط[20] التي ذكرنا من المناسبة والتقدم بالطبع .